اذ الخاتمة انما هي على وفق الكتابة ولا عبرة بظواهر الاعمال قبلها
بالنسبة لحقيقة الامر وان اعتبرها من حيث كونها علامة كما يأتي
بسطه اما الكبيرة فيكون دخوله خلود واما المعصية فيكون دخول
تطهير قال القاضي وغيره وهذا نادر جدا الخبر انه رحمتي سبقت
غضبي وفي رواية تغلب غضبي خلاف ما بعده فانه كثير فلله الحمد
والمنة على ذلك وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه
وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب بالمعنى السابق فيعمل
بعمل اهل الجنة فيدخلها اي بحكم القدر الجاري عليه في هذا وما قبله
المستند الى خلق الدواعي والصوارف في قلبه الى ما يصدر عنه من
افعال الخير فمن سبقت له السعادة صرف الله قلبه الى خير ختم
له به وعكسه بعكسه وفي بعض روايات هذا الحديث وانما الاعمال
بالخواتيم والاعمال بخواتيمها وفي حديث صحيح اعملوا فكل ميسر لما
خلق له اي قدر السعادة ميسر لعمل اهلها وذا الشقاوة ميسر لعمل
اهلها وهذا ايضا فيه اشارة الى تصريف كل من افعاله الى ما يراد
به بحسب القدر الجاري عليه المستند الى سابق العلم به بحسب
خلق تلك الدواعي والصوارف فيه المشار اليه بقوله صلى الله عليه وسلم
قلوب الخلق بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء فتصرفه
تعالى في خلقه اما ظاهر لخرق العادة كالمعجزة او بنصب الادلة
كالاحكام الشكليفية واما باطن بتقدير الاسباب نحو قوله ولو نوا عدتم
لاعددنا لهم عدة واختلافهم في الميعاد او خلق الدواعي والصوارف نحو وكذلك زينا
لكل امة عملهم وتقليب افئدتهم ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم
يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك او طاعتك ومعنى سبقية الاعمال
للسعادة والشقاوة الدال عليها الحديث انه تعالى خلق الخلق وركب
فيهم طباع الخير والشر فعلم ما يكون منهم بحسب مقتضى طباعهم
المركوزة فيها وسعدهم واشقاهم اعتمادا على سابق علمه وحكمته

لكان

لكان في ذلك ما مونا غير متهم لكنه تعالى عادل في حكمه حكيم في عدله
والحكمة تقتضي اجتناب مظان التهم ولو من سخط المتولي فلو عذب
بعضهم بموجبه عملهم فيهم لا تهموه فدفع هذه التهمة بان كلهم حتى
ظهرت معصيتهم عن طباعهم المركوزة فيهم من القوة الى الفعل وهذا
هو سر قوله تعالى لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل
وقوله صلى الله عليه وسلم في اطفال المشركين الله اعلم بما كانوا عاملين
لكن لا صحة انهم في الجنة وانما اقتصر في الحديث على قسمين مع ان
الاقسام اربعة لظهور حكم القسمين الاخرين من عمل بعمل اهل الجنة
او النار من اول عمره الى اخره وقد اختلف اهل التحقيق فمنهم من راعى
حكم السابقة وجعلها نصب عينيه ومنهم من راعى حكم الخاتمة والاول
اولى لانه تعالى سبق في علمه الازلي سعيد العالم وشقيه ثم رتب على
هذا السبق الخاتمة عند الموت بحسب صلاح العمل عندها وفسادها
وعليها الخاتمة سعادة الاخرة وشقاوتها والمبني على المبني على الشيء
مبني على ذلك الشيء فحقيقة السعادة او الشقاوة مبنية على سابق
العلم بها فبني اذا اولى بالخوف منها والمراعاة لها قال ابو المظفر السمعاني
وسبيل باب القدر الجاري المستفاد من الاحاديث والايات السابقة
التوقيف من الكتاب والسنة فمن عدل عنهما لقياس او عقل ضل وتاه
ولم يصل الى ما يطمئن اليه قلبه لان القدر سر من اسرار الله تعالى
ضربت دونه استار اختص الله بها وحجبها عن عقول خلقه حتى
الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين فقل ولا تنكشف الابعد دخول
الجنة واما الحديث ان التوبة تهدم ما قبلها من الذنوب وان من اتى
عليه خير او شر اديرة عليه احكامه نعم المبتدء فاستفاض السنة خلافا
للمعتزلة وان عمل من سبق في علم الله موته على الكفر يكون صحيحا مقربا
للجنة حتى ما يبقى بينه وبينها الا ذراع والعمل من سبق في العلم موته
على الاسلام يكون باطلا مقربا من النار حتى ما يبقى بينهما ذراع لكن لا مطلقا